لا يؤمنون به

لسان لا نفهمه ولا نعرف معناه فلا نؤمن به كذلك
سلكناه في قلوب المجرمين حتى يروا العذاب الأليم قيل
معنى سلكناه أدخلناه وسكّناه والمعنى أنا أنزلنا هذا القرآن
على نبي عربي بلسان عربي فسمعه المؤمنون وفهموه وعرفوا
فصاحته وأنه من عند الله فمكّناه من قلوبهم وثبّتناه فيها
فلا يرجعون عن الإيمان به وهكذا أدخلنا على قلوب هؤلاء المجرمين
وسلكنا التكذيب والكفر في قلوبهم فلا سبيل إلى أن يتغيّروا
عمّا هم عليه من جحود القرآن وإنكاره كما قال تعالى ولو نزّلنا عليك
كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر
مبين ومعنى قوله لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم أي لا يزالون على
التكذيب والكفر حتى يعاينوا الوعيد وهو العذاب الأليم فيأتيهم
بغتة وهم لا يشعرون يعني أنه يترتب عليهم العذاب إذا
أقاموا على كفرهم لا أنهم يروا العذاب عقيب ذلك على
سبيل المفاجأة بل لا بد أن يصيبهم عذاب الله مطلقا في أي
وقت شاء أفبعذابنا يستعجلون هذا تبكيت لهم
وتهكّم بهم يعني كيف يستعجل العذاب من هو لاحق به وواقع
فيه وذلك لأن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن
وغير لاحق بهم فقال تعالى أفبعذابنا يستعجلون استهزاء بهم لاتكالهم
على الأمل الطويل ثم قال عقيب ذلك أفرأيت إن متعناهم
سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون
كأنه قال هب أن الأمر كما يعتقدون من تمتعهم وتعميرهم وعاشوا
سنينا كثيرة في طيب عيش ثم جاءهم العذاب أو أدركهم الموت
فإنه لا يغني عنهم ذلك العيش ولا طول العمر شيئا وما أهلكنا
من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين أي ما نهلك
أهل قرية إلا بعد أن نرسل إليهم رسولا ينذرهم ويذكرهم ويحذرهم
وهذا مثل قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كنا

ظالمين مثل قوله وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون أي
أهلكنا أهل قرية إلا بعد أن ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم
فيكون إهلاكهم تذكرة فلا تعصوا أنتم مثل عصيانهم فتهلكوا
مثلهم وما تنزلت به الشياطين يعني القرآن وما ينبغي لهم
لأنهم ليسوا من أهله وما يستطيعون أي لا يقدرون على ذلك
إنهم عن السمع لمعزولون أي أنهم عن استماع الوحي لممنوعون
بالرجم فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين قيل
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره مثل قوله لئن أشركت
ليحبطن عملك وأنذر عشيرتك الأقربين اختلف في معنى ذلك
ذلك على وجهين أحدهما أنه أمر بإنذار الأقرب فالأقرب
من قومه ويبتدئ في ذلك بمن هو أولى بالبداءة ثم بمن يليه وأن يقدم
إنذارهم على غيرهم والثاني أن المعنى أنه لا يأخذه ما يأخذ
القريب من الشفقة والرأفة ولا يحابيهم في الإنذار والتخويف
روي أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية صعد الصفا وقال
يا عباس عم رسول الله يا صفية عمة رسول الله يا فاطمة بنت محمد
يا عائشة بنت أبي بكر يا حفصة بنت عمر يا بني عبد المطلب يا بني عبد
مناف افتدوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم من الله شيئا سلوني
من مالي ما شئتم وفي رواية أخرى فإني لكم نذير بين يدي عذاب شديد
فقال أبو لهب لهذا دعوتنا تبا لك فأنزل الله تعالى تبت يدا أبي لهب
وتب الآية والتباب الخسران واخفض جناحك لمن اتبعك من
المؤمنين معناه أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالتواضع
للمؤمنين من عشيرته وغيرهم ويجوز أن يكون المعنى أنذر قومك فإن
أطاعوك فاخفض لهم جناحك وتواضع لهم واستمل قلوبهم كما قال
تعالى وشاورهم في الأمر فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون أي
فإن عصاك الأقربون فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك وغيره

Copyright © King Saud University